اتباع التابعين ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم
شدة عناية بامر الدين الزهاد والعباد ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق فكل
فريق ادعوا ان فيهم زهادا فانفرد خواص اهل السنة المراعون انفاسهم مع الله تعالى الحافظون
قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهولاء الاكابر قبل المائتين
من الهجرة ونحن نذكر في هذا الباب اسامي جماعة من شيوخ هذه الطائفة من الطبقة
الاولي الي وقت المتاخرين منهم ونذكر جملا من سيرهم واقاويلهم مما يكون فيه تنبيه علي
اصولهم وادابهم ان شاء الله تعالى فمنهم ابو اسحق ابرهيم بن ادهم الي آخر طبقات المشايخ
رضي الله تعالى عنهم اجمعين

باب تفسير الفاظ تدور بين هذه الطائفة وبيان ما يشكل منها

اعلم ان من المعلوم ان كل طائفة من العلماء لهم الفاظ يستعملونها انفردوا بها عمن سواهم
تواضعوا عليها لاغراض لهم فيها من تقريب علي المخاطبين بها او تسهيل علي اهل
تلك الصنعة في الوقوف علي معانيهم باطلاقها وهذه الطائفة يستعملون الفاظا فيما
بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لانفسهم بعضهم مع بعض والاجمال والستر علي من
باينهم في طريقتهم لتكون معاني الفاظهم مستبهمة علي الاجانب غيرة منهم علي اسرارهم ان
تشيع في غير اهلها اذ ليست حقايقهم مجموعة بنوع تكلف او مجلوبة بضرب تصرف
بل هي معاني اودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقايقها اسرار قوم ونحن نريد بشرح
هذه الالفاظ تسهيل الفهم علي من يريد الوقوف علي معانيهم من سالكي طريقهم ومتبعي
سنتهم فمن ذلك الوقت حقيقة الوقت عند اهل التحقيق حادث متوهم علق
حصوله علي حادث متحقق فالحادث المتحقق وقت للحادث المتوهم تقول اتيك
راس الشهر فالاتيان متوهم وراس الشهر حادث متحقق فراس الشهر وقت الاتيان
وقد يعنون بالوقت ما هو فيه من الزمان ويقولون الصوفي ابن وقته يريدون
بذلك — مطلب الصوفي ابن وقته

٣٩

بذلك انه مشتغل بما هو اولي به في الحال قايم بما هو مطالب به في الحين وقيل
الفقير لا يهمه ماضي وقته وآتيه بل يهمه وقته الذي هو فيه وقد يريدون بالوقت
ما يصادفهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم ويقولون فلان بحكم الوقت
اي انه مستسلم لما يبدو من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عليهم امر او اقتضا
بحق شرع اذ التضييع لما امرت به واحالة الامر فيه علي التقدير وترك المبالاة بما يحصل
منك من التقصير خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف اي كما ان السيف قاطع — مطلب الوقت سيف
فالوقت بما يمضيه الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم
ومن خاشنه اصطلم كذا الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس
وتردي ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت
والكيس من كان بحكم وقته ان كان وقته الصحو فقيامه بالشريعة وان كان وقته المحو فالغالب
عليه احكام الحقيقة ومن ذلك المقام فمقام كل احد موضع اقامته عند ذلك وما هو مشتغل
بالرياضة له وشرطه ان لا يرتقي من مقام الي مقام آخر ما لم يستوف احكام ذلك المقام
فان من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم وكذلك من لا توبة له
لا يصح له الانابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد والمقام بفتح الميم هو الاقامة ولا يصح لاحد
منازلة مقام الا بشهود اقامة الله اياه بذلك المقام ليصح بنا امره علي قاعدة صحيحة
ولما دخل الواسطي نيسابور سال اصحاب ابي عثمان بماذا كان يامركم شيخكم فقالوا كان — مطلب عجيب
يامرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال امركم بالمجوسية المحضة هلا امركم بالغيبة
عنها برؤية منشيها ومجريها وانما اراد الواسطي بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب ومن ذلك الحال — حقيقة الحال
والحال عند القوم معني يرد علي القلب من غير تعمل منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم
من طرب او حزن او بسط او قبض او شوق او انزعاج او هيبة فالاحوال مواهب

Copyright © King Saud University